

المساق التربوي العربي والمدُّ التكنولوجي

د. سليمان حسن زيدان

جامعة عمر المختار. ليبيا

تاريخ الاستلام: 2019/06/15 تاريخ القبول: 2019/06/26 تاريخ النشر: 2019/07/01

سيقت النفس البشرية من بدء خلقها على أسس تربوية تعليمية تمكنها من التفوق على ما عداها من المخلوقات وقد كان ذلك وهو كائن إلى أن يرفع الله العلم من الأرض. ولقد اقتضت سنة الخالق أن يكون الخلق أطوارًا، ولهذا شرّعت سنة الخلق أن يُعمل الفكر والعقل المُشكِّلان لأسباب التفاوت الطبقي: الفردي والجمعي. الكيفي والكمي، من حيث التفوق وترك الطور الأدنى إلى طور أعلى منه وهو ما يخلق المتغيرات في المجتمع الإنساني بعامة والكيان المحيط بخاصة. ولا يتأتى التغير. الذي يفترض أن يكون مفتاح التطور والاستفادة مما أُتيح لنا. إلا بالفكر وهذا ما يجعل المجتمعات التي يُعمل أفرادها الفكر فينبون خطط الحاضر والمستقبل على نهج فكري قويم هي المنتجة للحضارة والأخرى هي المستهلكة لها ومن هنا تنشأ العلاقات طردية بين المستهلك (التابع)، والمنتج (المتبوع) لترسم حدود العلاقة المتواترة على ضوء القيمة الإنسانية ومن ثمّ وضع معايير التّصنيف بين أولى الفكر وسواهم.

تبدأ المتغيرات في التشكل؛ إمّا إيجابًا إلى الطور الأعلى، وإمّا سلبيًا إلى الطور الأدنى ومن هنا تتضح معالم ثنائية الهوية والثقافة التي تتأرجح ثباتًا واهتزازًا حسبما نوع الفكر ودرجاته التعامل العقلي مع معطيات العصر وأسلوبه، والأمر لا يخلو من وجود محفزات ومعوقات ومبادرات ذاتية لتقييم مدى التأثير التقني فينا وعلينا، وهو ما انطلقت على أساس منه فرضيات هذا البحث الموسوم (المساق التربوي العربي والمدُّ التكنولوجي) لرصد مكان وجودنا على خارطة التغيرات والتطورات بدءًا من أسبابها انتهاءً بنتائجها.

إن لانزياح الفكر العربي عن المنجز العقلي الإنساني أسبابًا ومفارقات، لذا فإنّه من الأولويات الوقوف على تمثيلات لذلك لإيجاد منطق نصوغ من خلاله أنماط

د. سليمان حسن زيدان

الفكر الدَّارجُ فينا، وأثره في أساسيات الهوية والثقافة والتَّربية والبناء لعلَّنا نصيب شيئاً من ذلك بوقوفنا على القُدْرِ المتاح لإعمال الفكر في كيفية التَّعاطي مع المُنجز العقلي، ورصد حجم المساحة الممنوحة تنظيراً وتطبيقاً للشأن الاجتماعي وكذلك الثقافي والبحث العلمي ومقدار الحفاظ والتَّعدد الثقافيين وكيفية أثرهما في الهوية في عصر تقنية المعلومات وتعدُّد وسائط الاتصالات برصد أشكال تعاملنا بها ومعها وحسابات الكسب والخسارة منها . وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي لما لها من دور في صناعة المتغيرات وتقويمها من حيث جدواها من عدمه للوعي الإنساني والعربي بخاصة.

. الثَّقافة والهوية كأساس للتعاطي التربوي والمعرفي:

اثنتان تنبئان عن نفسيهما، وعن الآخر: الثقافة والهوية : فلا انفصال ولا انفصام بينهما إلا وله أثره على الفكر ومن ثمَّ على الانتماء المجتمعي : فإنَّما ترسيخاً للهوية وتثبيتاً لقيمها، وإمَّا الانكسار والجنوح إلى بدائل أخرى خارجة عن الكيان محدثة الانفصال إن لم يكن السلخ عن الأصل . الهوية . التي هي مردُّ كلِّ أنماط السلوك المكتسب من الموروث والمستجد. فمن أين يأتي الوافد الثقافي ؟ وكيف يأتي ؟. أسئلة ملزمة لفهم الواقع المجتمعي، ولرؤية المتغيرات بعين العقل، وبمنأى عن العاطفة أو الانبهار. ويأتي الشيء الثالث ليشمل الاثنتين معاً ويضمن لهما البقاء والأثر؛ إنَّه الفكر.

لاشكَّ في أنَّ كَلَّنَا يفكِّر؛ لأنَّ كَلَّنَا يعيش فهل الكلُّ حمَّالٌ أفكارٍ خلاقَةٍ حمالةٍ رؤى تنموية بالطبع لا وإلا خالف ذلك فطرة الكون وناموس الأطوار، حيث إنَّ الفوارق بين الخلائق سُنَّةٌ كونية وطبيعة في الخلق . قال الله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿13﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿14﴾¹ وهذه الفوارق مِيزٌ تحفِّزُ للعمل والعطاء وتسُدُّ فراغات الحاجة، لذا حبا الله الكريم بعض خلقه بإتيانهم الحكمة، وميَّزَ بين أولي الألباب وسواهم في الذكر وهو ما يفرض علينا أن نُنزلَ الناسَ منازلهم ونقدِّرَ أولي العلم ومن بينهم أولي الفكر الذين لا ريب في أنَّهم سبَّبُ الله في الأرض في ضمان الرفاهية

¹. سورة نوح . الأيتان 14، 13

المساق التربوي العربي والمُدُّ التكنولوجي

والتقدم لما سينتج عن تكاثف أفكارهم من خَلْقٍ تكافلٍ مجتمعي يعضد بعضه بعضاً فيعود الكسبُ على الجميع .

وإنَّ الحاجةَ لسوق المجتمع في اتجاهٍ تنموي فكري خطوةً أولى في تحقيق المسؤولية من قبل الراعي كونه المسؤول عن رعيته، وهو ما يحتمُّ عليه انتهاج سلوك تعاملٍ يحبب الناس في الوطن ثم فيه ثم في البذل والعطاء الأمر الذي يتطلَّبُ تمهيدَ الأرض وإخصابها لتنمو الأفكارُ بقوامةٍ ويسرٍ ؛ فهل واقِعنا العربيُّ كذلك؟!!!

تقتضي متطلباتُ التقييم المنهجي الصراحةَ مع الذات، وهو ما يفضي إلى تحرِّي الأمانة العلمية دون إفراطٍ في التشاؤم والإحباط . وللوصول إلى ذلك علينا أن نقرَّ بأننا لا نزال على عتبات التطور الفكري، بل إنَّ كثيراً من الفكر السائد لدينا في حاضرنا غير موجه التوجيه السليم الفاعل إيجاباً لا سلباً المتوافق مع هويتنا وثقافتنا . إنَّ ما نراه اليوم في المجتمع العربي من متغيرات في مواطن كثيرة من خصوصياتنا، لم يأتِ دون تدخلات طارئة كان للتعددية الفكرية الناتجة عن التعددية الثقافية المنتجة لاضطرابات حضوراً بيّناً فيها . تلك التدخلات التي مسَّت الهوية ؛ فأثَّرت في البناء القيمي للمجتمع الذي مارس بعضُ أفرادهِ أشياء لا صلة لجذورهم بها .

للفراغ الفكري دوافعه التي أولها : الكبت الشعوري وانعدام التوجيه والمراقبة؛ فالحجر على الشعور وعدم منح الفرص للتفكير خشية أن يقود التفكير إلى أمور ذات علاقة بالشأن السياسي لسيطرة الهاجس (الأمني) وتغلبه في الحضور المجتمعي العربي على العملية التعليمية وعلى النمو الفكري أو أنَّ القائمين على إدارة شؤون المجتمع يحبذون الوضع القائم تحسباً للمزاحمة في المواقع تأسيساً على الجمود المسيطر عليهم المُشكِّل لأنماط نفسياتهم ومن ثمَّ سلوكهم ؛ فيرون كلَّ فكرة جديدة هي بمثابة صداع نصفي سيصيبهم جرّاًها.

إنَّ مسألة البحث العلمي والانشغال بالشؤون التوعوية الضامنة للتطور والقفز إلى آفاق أرحب ؛ هي أمر أشبه بالمنسي المتغافل عنه، إذ إن البلدان العربية لا تولي البحث العلمي أولوية ما في أي خطط : سياسية . اقتصادية . تعليمية . ثقافية...

د. سليمان حسن زيدان

وإنَّ الانزياح العربي عن المنظومة الفطرية القاضية بالسعي إلى حيث التطور والتقدم لهو سبب رئيس في التغيرات المجتمعية نحو السالب في حين يتغير الآخر بالسير باتجاه الموجب بخطى حثيثة واثقة، فلا مراء في أنَّ الممارسة الواعية الواعدة المتبعة نهجاً علمياً قوياً ذات أثر في السلوك الفكري حيث لا وعاء تنموي يُغْتَرَف منه فينمي الفكر إيجاباً في حين أنَّ ما ينمي الفكر المشكِّك في الهوية بل الناقل لها هو السائد المتاح عبر شبكة المعلومات الدَّولية وما تعج به من مواقع ومن بينها الاستخدام المعوج لمواقع التواصل الاجتماعي (النت) الميسِّرة للولوج إليها والبقاء فيه ما شاء المتصفح، للتعاطي مع ما رصد في الشبكة من أفكار وروى وإثارة وتعدد في الثقافات في مقابل الخمول الفكري وقلة الثقافة لبطء التثقيف في مجتمعنا العربي : فلا ريب في أنَّ هذه العناصر جميعها أو حتى بعضها تخلق سلوكيات فكرية تؤثر في التصرفات الشخصية فتنعكس على المجتمع فتنشأ التغيرات وهو ما ندركه من واقع المجتمع المعاصر؛ إذ تتشعب الأبعاد مفسحة الفضاء لتأثيرات قوية تكون من جنس العصر فيطراً الانحراف الانتمائي ؛ وتبديل الهوية بتعدد الهويات..

ثابت لازم أنَّ الفكر أساس المعرفة بالشيء أكان كبيراً أم صغيراً بل هو معيار الوعي والإدراك لقيمة الوجود الأول (المؤقت) وصولاً إلى الآخر (الخالد) ؛ فبإعمال الفكر يكون التدبر، وبالتدبر ينشأ الفهم القويم الفارق بين الحق والباطل : الخير والشر .
النافع والضَّار ؛ وشاهد ذلك قول الله تعالى ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾² وقوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾³ وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁴ . وقوله تعالى ﴿الْبَيِّنَاتِ

² . سورة الأنعام : الآية 50.

³ . سورة البقرة : الآية 219.

⁴ سورة الأعراف : الآية 176.

المساق التربوي العربي والمدُّ التكنولوجي

وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ⁵ وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁶ وقوله تعالى ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁷. فهذه الآيات جميعها وغيرها تحض على أعمال الفكر كمنشئ أقوم لخلق تغير سلوكي على أساس من الوعي بما هو مقبل عليه وناتج عنه ؛ فالمتغيرات الفكرية لازماً أن تكون ذات جدوى ووفق معطيات الكسب لا الخسارة والزيادة في الثقافة لا النقصان منها، ورسوخ الهوية لا فقدانها أو التفریط في جانب منها من خلال الانخراط في ثقافات أخر وركوب تياراتها واتجاهاتها. ويتحقق لهذا بيسر وسهولة حينما يسود مناخ اللاوعي بريح الانهيار بالآخر في مقابل صمم المجتمع، وهو ما يتيح المجال للمتغير السلبي . ويمكننا أن نلمس هذا في نقاط ضعف عدة تصيب البنية المجتمعية تغذي ضعفها ممارسات فردية وجمعية ذات نزعات هوائية. وبما إننا نتناول المجتمعات العربية كنموذج وعينة لذلك ؛ فإننا نرجع الأمر إلى كمٍّ من القصور القائم عن تعمد أحياناً وعن جهل أحيان أخرى .

تقارب نعمي صوتي يجمع بين الأيدلوجيا والتكنولوجيا، وتعالق ترادفي نشط يوجّد مسارهما ؛ إذ أنّ التكنولوجيا بما أنجبت من دقائق المخترعات تستأثر بالفكر لتعلقه بها حتى أنّها غدت تعطل العقل لحسابها إذا ارتهن لها ؛ فتُريه الهابط على أنّه صاعد، والسقيم صحيحاً معافى، والتائه مهدياً مريضاً، وهذا ناتج طبيعي يفرزه شكل الصلة بها، وكيفية التعاطي معها . وإنّ لنا . نحن العرب . تعاطينا الخاص بها، حيث إنّنا في ارتيادنا لها ووردنا منها نكبٌ علمي انطلاقةً من علاقة تعلّق نزواتي لا تطلع عقلائي. نتعلق بها ؛ فنسير في ركبها سير العالم بألفها ويائها وما بينهما، وليس من أحدٍ متاً ينطلق من قاعدة الكَيْسِ الْفِطَنِ لِيُتَقَنَّ الاستفادة منها كما يتقن الحَذَرُ سواء بسواء . لا نستخدم كلّ ما فيها من تقانة ألزمتنا أنفسنا باقتنائها، أو خوض غمارها، دون تنبه

⁵ سورة النحل : الآية 44.

⁶ سورة الروم : الآية 21.

⁷ سورة الحشر: الآية 21.

د. سليمان حسن زيدان

لآثارها السَّلبِيَّة على الإرادة العقلية : علميَّة وعمليَّة، وعلى المناحي الحيادية للفرد : مادية كانت أم معنوية، غير آبهين بمدى قدراتنا على التحصيل الكمي والكيفي لخواصها الفنيَّة، والاستغلال الأكمل والأمثل لوظائفها الإلكترونيَّة . إنَّ هذا الأمر يملِي الوقوف عند بعض جوانب هذه الصِّلة وآثارها، ومنها :

التكنولوجيا والأثر التربوي : النفسي والفكري
المدُّ التكنولوجي وواقع البحث العلمي العربي
التكنولوجيا والأثر الثقافي
تكنولوجيا التواصل والأثر الاجتماعي

أولاً. التكنولوجيا والأثر التربوي : النفسي والفكري :

كيف تتقدم البشرية ؟ وما الذي ينهض بالأمم ؟ وبأي عقلية وآلية يساس القوم ؟. أزعَم أنَّ هذه الأسئلة تدور في خَلَدِ كُلِّ واحدٍ مِنَّا، وأنَّ لكلِّ مِنَّا معاييرَه في الفهم والتأويل لكنَّ هذه المعايير تلتقي في إجمال الغاية : بناء الإنسان من خلال الحرص على النضج الفكري. وهذا يقود إلى سؤال ساذج عام : وهل هذه السمة (النضج الفكري) تتوفر عندنا أو نسعى رعاة ورعية للظفر بها؟! هذا ما نبحث فيه وعنه لإثباته أو نفيه.

إن وسائل الانزياح الفكري كثيرة مغرية متنوعة يأتي في مقدمها إهمال بناء الشخصية : أقصد العربية التي تخلفت كثيراً عمَّا سواها، وهو ما جعلها عرضة للوقوع في مصيبة عقدة النقص أمام شخصية الآخر : فمن مِنَّا غير منبهٍ بما وصل إليه الغرب من تطور وتنور فكري أوصلهم لغزو الفضاء ولتسيير من على الأرض وفق رؤاهم . وبِمَ تحقق لهم هذا : ببناء شخصية مواطنهم بدءاً من حضائنه وليس انتهاء بتخرجه. فكلُّ من يشمُّ فيه رائحة نبوغ يُنشأ تنشئةً خاصة بدعم أخص، ومن ليس كذلك لا يترك شأنه بل تقام له مراكز التوعية والإرشاد والتعليم والتدريب حتى يُنَجِّي كفاءته بأحدث الأساليب العلمية المعتمدة على أدق وأبداع ما وصلت إليه التَّقنية، لينشأ على أسس تربوية فكرية علمية مطورة، فيستفاد منه في ركن من أركان المجتمع ؛ أمَّا نحن، فالنايغ لا وفاء لجهده، ولا قدر ولا تقدير لبراعته، فلا شيء يحسن سبيل الفكر بل إن ما

المساق التربوي العربي والمدّ التكنولوجي

يضطهد الفكر بوازع الأنانية والجهوية والفردية والتسلطية واللاوطنية هو السائد . ولا أريد أن أكون متشائماً فأجعل السوداوية الضبابية تعمُ المجتمع العربي كلّهُ ؛ فعلينا الإقرار بوجود سعي بل أفعال في بعض الأقطار العربية في اتجاه ردم الهوة بين الفكر واللافكر لصالح الفكر من خلال عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات وإنشاء المراكز والمؤسسات الداعمة للتوجه الفكري التنويري وملء الفراغ الفكري بالتواصل مع منابر الفكر الإنساني والاحتكاك بآليات التقنية وممارسة ركوب المدّ التكنولوجي.

والنهج الفكري السديد يضعنا أمام الحقيقة البَيّنة التي مقومها ألا مرأ في أنّ الانغلاق على الذات والحرص الشديد على إعطاء الأولوية بل الأهمية لحمايتها لسيطرة هاجس التريص بها لانتزاع وجودها ونزع السلطة منها ؛ هو ما أوجد الفراغ الفكري، إذ تسخّر المقومات لكبح هذا الهاجس بدل أن تسخّر في تجهيز الأرضية الخصبة لإطلاق العنان للفكر دون قيود ولا مبررات مفادها أنّ المجتمع إذا مارس الفكر ؛ فإنّ المرحلة التّالية ستكون طرح التساؤلات والسعي وراء الإجابات التي قد تُدخِل في محيط المحظور، ومن ثمّ كان الحرص على إتباع سياسة الإبقاء على الخمول العقلي ؛ فالفراغ الفكري طوعاً لهاجس أمني أو عقدي مزعوم. ولا ضير في أن نمارس الحذر تأسيساً على القاعدة الفقهيّة للسمة الإيمانيّة " المؤمن كَيَسّ فطن حذر"⁸ وفي هذا دعوة لإتباع خطة تحوط من الانفتاح على الآخر دون معايير، وهذا ما يحدث وما شوه المواكبة اللازمة للتطور العلمي.

تنشيط المجتمع عبر نشر وسائط الفكر وتعميم فائدتها وجدواها وبخاصة في المراحل العمرية الأولى يوفر سبل النهوض بالعقلية المجتمعية الكلية ويجعل الوطن أكثر أمناً وأيسر تقدماً ووعياً ؛ إذ أنّ سَوَسَ أولى الفكر أقوم لقيادة المجتمع والسيطرة الناجعة عليه بخلق مثقف واعٍ يستجيب للآخر دون أن ينقاد له عقلياً وفكرياً باعتبار أنّ " عنف المتغيرات اليوم وفي عصر الشفافية الوحشية والاستشعار المعرفي الكوني عن بعد يطرح مثقفاً مختلفاً موقعاً وتفكيراً وعلاقة وحقيقة وجود إلى درجة زحزحة المفاهيم

⁸ . أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي : مسند الشهاب . الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف (CD) الإصدار الأول ، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي . ج 1 ، ص 107.

د. سليمان حسن زيدان

السابقة لقصورها الدلالي"⁹. وبناءً على هذه المفاهيم في علاقتنا بالآخر وعلاقة الآخر بنا فإنّه من الواجب أن نعي قيمة اللغة لقيمة الهوية التي أريد لنا أن ننسلخ عنها. وأقول آسفًا. : وقد سرنا في الطريق الذي أريد لنا أن نسلكه ؛ ففرطنا . وأول التفريط كان في أحدٍ أهمّ مقومات الهوية العربية ألا وهي اللُّغة التي علينا أن نربي بها وعلمها لنعلم بإتقانها ما سواها من لغات نحتاجها لفهم التكنولوجيا واستخدامها الاستخدام الأمثل . لكننا نقفز عليها فنتجاهل قيمتها الثرة لثقافتنا وفكرنا وهويتنا وتغيرنا نحو الأفضل ونحن نعلم أنّ لغتنا العربية " هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطًا بالهوية"¹⁰؛ فمن منّا يحترمها ؟!! من منّا يجيدها ؟ !! من منّا يوظفها لخدمة الفكر والهوية ؟!! في حين أنّ " اللغة ترجمان للفكر الإنساني، الذي لا يمكن أن يُدرك إلا مستحضرًا ومتشكلاً فيها أداة ذات وظائف متعددة ومتنوعة"¹¹؛ فكيف سننتج فكرًا ما لم نحسن ونحكم الإمساك بالوسيلة ؟ وأيُّ وسيلة ستكون خادمة مخرصة لفكر عربي غير اللُّغة العربية بأصواتها ومعانيها ودلالاتها ورموزها وحقائقها ومجازاتها. وأيُّ ثقافة ستكون لنا في عصر تتجلى لنا فيه كلّ يوم حقيقة " أنّ الثقافة قد أصبحت محور عملية التنمية في مجتمع المعلومات، في حين أكدت اللغة بفضل المتغير المعلوماتي كونها محور منظومة الثقافة بلا منازع"¹². ونستخلص من هذا أنّ تقدّم الآخرين علينا كان بحرصهم على ضمان سيادة التّعامل والتثقف والتثقيف بلغاتهم، وفرضها لغات أولى، ومن ثمّ الترويج عبرها لأفكارهم التي سدّت منافذ التفكير دوننا إلا عبر نوافذهم ؛ فحدث الفراغ الفكري.

⁹ . إبراهيم محمود : الثقافة العربية المعاصرة " صراع الإحداثيات والمواقع " ، دار الحوار للنشر والتوزيع . اللاذقية . سوريا ، ط 1/2003م ، 169.

¹⁰ . د. نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات " رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي" عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . عدد يناير 2001م ، ص 231.

¹¹ . سائلة صالح فرج : طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر ، مجلس الثقافة العام . ليبيا . د.ط/ 2008م ، ص 70.

¹² . د. نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات (مرجع سابق) ص 229.

المساق التربوي العربي والمدُّ التكنولوجي

ثانيًا . المدُّ التكنولوجي وواقع البحث العلمي العربي:

تعلّم فليس المرء يولد عالمًا *** وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل : هذا ما قال الشاعر وهذا ما يجب أن نفعل ؛ إذ لا علم إلا بالتعلم، والتّعلّم في حدّ ذاته تربية : تربية على تطلع وكفاح وصبر وجراءة فثقة فتصميم، ومن هنا . وفي عصر العلم والتطور . صار لزامًا أن يكون البحث العلمي من أولويات بل هو صراط المساق التربوي للعقل : فالمسلّم سبيلًا إلى التّقدّم أن البحث العلمي هو بداية الدرب الموصل إلى القمة، حيث إنّ الدول المتقدمة الآن هي تلك التي أولت البحث العلمي عناية مُثلَى من حيث التوجه والتوجيه والإنفاق، فبمقدار التطور البحثي يكون التقدم العلمي، وتتحقّق رفاهية المجتمع الخالقة للمتغيرات الفكرية من الحدّ الأدنى في الفاعلية القيمة للوجود الفردي والجمعي إلى المستوى المتقدّم النّاهض بالمجتمع، فالأمة فالإنسانية لم تشهد أي تفوق لبعضها على الآخر إلا بمقدّر فرض هذا التفوق والسبق بوسائل شتّى أولها وأقومها التقدّم في مجال العلوم والمعارف، وهو ما ندركه ونردده في نظرتنا للمستوى الفكري الغربي الذي صرنا نعتمد عليه في كلّ شيء مكثفين بالانبهار به دون سعي للبحث والنهوض بالفكر بدءًا بطرح الفكرة فالبحث فالتجارب فالنجاح فالتفوق. ولكنّ أتى يكون لنا ذلك والقصور في مجال البحث العلمي هو الشّائع الجلي كمّا وكيفًا.

ترصد الدراسات والأبحاث درجات الوعي بقيمة البحث العلمي والاهتمام به من خلال معايير دولية عالمية تقديرية ؛ فالتقدم والتطور الفكري والعلمي لأي دولة يقاس بكمّ الإنفاق على البحث العلمي ومقدار الاهتمام بالمشاريع العلمية والفكرية وإخضاعها للتقييم من خلال مؤسسات أقيمت للغرض ذاته، ومن ثمّ تَبني الفكرة وصاحبها وتسجيلها باسمه والترويج له بالحافز والدّعم الدّعاية.

ولقد كشفت التقارير الرّسمية أنّ نسبة ما تنفقه الدول العربية على البحث العلمي متدنٍ جدًّا ففي عام 1999 كانت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في مصر 0,4%، وفي الأردن 0,33%، وفي المغرب 0,2%، وفي كل من سوريا ولبنان وتونس والسعودية 0,1% من إجمالي الناتج القومي، وتؤكد ذلك إحصائيات اليونسكو لعام 1999؛ وأما إحصائيات سنة 2004 لنفس المنظمة العالمية.. فتقول: إن الدول العربية

د. سليمان حسن زيدان

مجتمعة خصصت للبحث العلمي ما يعادل 1.7 مليار دولار فقط، أي ما نسبته 0,3% من الناتج القومي الإجمالي.. في حين نلاحظ أنّ الإنفاق على البحث العلمي في (إسرائيل) (عدا العسكري) حوالي 9.8 مليارات شيكل (2.3 مليار دولار) أي ما يوازي 2,6% من حجم إجمالي الناتج القومي في عام 1999. أما في عام 2004 فقد وصلت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل إلى 4,7% من ناتجها القومي الإجمالي" وبمقارنة مؤشرات الدعم المالي للبحث العلمي في الوطن العربي نجد أنّه لأمرٌ هو مؤسفٌ أن يكون ما ينفقه الباحث العربي على البحث العلمي أو ما يُنفقُ عليه لا يتجاوز الـ 24 دولارًا سنويًّا في حين أن القيمة تصل إلى 124 دولارًا في الدول الصناعية و 110 دولارات في إسرائيل¹³.

وبقراءة لواقع مشاريع التخرج في جامعتنا نجدها لا تتعدى مسألة : كتبنا . ناقشنا . رصدنا . لا فكرنا . اخترعنا . طوّرنا . ولقد تابعت تقريرًا عن مشروعات التّخرج في الجامعات الإيرانية فكانت : صناعة سيارات . صناعة شبكات كهربائية . مشروعات عن الطاقة البديلة.. اختراع تقنيات جديدة.. نظريات تعليمية.. أساليب تربوية.. منظومات اتصالات.. إلخ. ومما اطلعت عليه مؤخرًا من الاختراعات الممكن تطبيقها بيسر التي لا تحتاج مثيلاتها إلا لإعمال فكر وتشجيع وطن ؛ أنّ طالبًا نيوزيلانديًا اخترع جهازًا جديدًا لشحن أجهزة المحمول (النّقال) بواسطة البخار المتصاعد من الماء المغلي، عبر توصيله لأسلاك نحاسية متصلة بجهاز صغير الحجم وهو ما وُفّر في استهلاك الكهرباء وحدّ من الحاجة إليها بخاصة عند انقطاعها أو عدم توفرها في الصحراء مثلاً.

ولو استعرضنا مؤشرات نشوء التنمية ومعاييرها حسب تقدير العلماء والخبراء والمختصين بالتنمية البشرية لوجدنا أنّها صِغت في الآتي:

أولاً. متوسط الإنفاق على البحث العلمي والتكنولوجي كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي، وهي 3% للدول الصناعية المتقدمة.
ثانيًا. عدد العلماء والباحثين لكل ألف من السكان.

¹³ . نقلا عن موقع مؤسسة موهوبون للابتكار والتطوير . شبكة المعلومات الدولية : <http://www.mawhapon.net>

المساق التربوي العربي والمُدُّ التكنولوجي

ثالثًا. عدد الأبحاث العلمية السنوية المنشورة في المجلات العلمية.

رابعًا. عدد الحاسبات لكل ألف من السكان.

خامسًا. عدد المجلات العلمية التي تصدر في البلد المعين.

سادسًا. عدد مراكز البحث العلمي والتكنولوجي في ذلك البلد.

سابعًا. متوسط الإنفاق على الكتب والمجلات لكل فرد من السكان.

ثامنًا. عدد الاختراعات وبراءات الاختراعات المسجلة سنويًا لكل ألف من السكان .

تاسعًا. نسبة مساهمة مدخلات العلم والتكنولوجيا في الناتج المحلي الإجمالي.

فهذه النقاط التّسع محدّدات لآليات البناء المُحكّم الدّافع باتجاه المتغيرات التي ترفع من قيمة المجتمع وتحطّ من أثر الجهل والتّقاعس عن معرفة ذوي القدرات العقلية والذهنية المتفرّدة بالنبوغ حيث إنّ لاكتشاف موهبة الذكاء المبكر مبكرًا جدوى تنموية ؛ إذ يمكن حينها توجيهُ النبوغ توجّهًا عمليًا قويًّا ليستفاد منه على الصّاعدين الفردي والجمعي لأنّ الذكاء العملي " يستحق أن يؤخذ في الاعتبار بشكل كبير عند محاولة فهم أوجه الكفاءة المطلوبة للنجاح في الحياة الواقعية"¹⁴.

ولقد كان العرب قديمًا يفاخرون بأولي التميز والنبوغ، فإذا ما نبغ فيهم شاعر وبرز فيهم فارس أقاموا الولائم وعقدوا المجالس للمدح والافتخار والاحتفاء ؛ فلماذا لا نستمد من هذا الموروث طاقة فكرية لترسيخ الهوية وننمي فيها فكرة التفاخر بين مجتمعاتنا بولادة عالم أو باحث، وفي ذلك قيمة فكرية وحافز معنوي كبيرين يدفعان بالكفاءة قُدّمًا ليكون وسام التباهي بالعلم لا بالأنساب.

ثالثًا. التّكنولوجيا والأثر الثقافي:

أضحى العالم صغيرًا حتى صار المرء فيه على التّقاء مباشر بغيره ممن يحب أو لا يحب . بمن يتقاسم معه انتماء مشتركًا أو غير مشترك . بمن يتقاطع معه في الموروث أو لا يلتقيان في فكر أو ثقافة ومع هذا كان التّأثر والتّأثيراتان الثنائيتان القائمتان على القاعدة العملية الواقعية التي تقول : إنّ الأقوى هو الأكثر والأعم تأثيرًا في الضعيف ؛

¹⁴ . د. محمد طه : الذكاء الإنساني / اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية " . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . أغسطس 2006 م ، ص 179.

د. سليمان حسن زيدان

لأنَّ وسائله وحججه وإمكاناته وآليات تعضد موقفه فتجعل الآخر ينساق خلفه دون أن يدري، أو أنَّه يدري لكنه مكبَّل بالانهار والإعجاب بما يأتي من الأجنبي قولاً وفعلاً بحكم اقتناعنا بأنه الأقوى وبأنَّه يمتلك زمام مقومات حاجتنا "والسبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه : إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه : أو لما تغالط به من انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء"¹⁵ وليت ذلك فيما يفيد بل فيما يمسخ الهوية من مسaire وتقليد وانهار بكلِّ شيء في اختراق ولا مبالاة بقيم المجتمع المنتهي إليه ؛ فالأصل " أن الفرد لا يستطيع أن مخالفة المبادئ العرفية الموجودة في المجتمع والمتمثلة في القيم الروحية والأخلاقية لأنَّه لو فعل ذلك لتعرض للجزء الاجتماعي وهذا يعني أن العرف ذو أهمية وأثر كبيرين على سلوك الأفراد"¹⁶ . ومن أمثلة الإعجاب المفرط بالسلوك الرديء وانتهاجه ظواهر : وضع الأقرار في الأذن للذكور، وحلق شعر الرأس بأشكال معينة تجسد فكر الآخر وثقافته عبر أنماطها وهندستها لتعطي رمزية معينة في غزو ثقافي موجَّه، واللباس غير الساتر في عدم مراعاة لشعور الآخر وأحاسيسه. وإن لا مبالاة المجتمع بهذه الأمور ونقد ونبد فاعليها لهو مؤشر على متغيرات قيمية سالبة ؛ فالعرف والعادات والتقاليد أولى ثوابت الهوية . ويمكننا أن نحكم على المجتمع بالتغير بالانسلاخ من روابط كيانه، والتنكر من هويته العابر لحدود كيانه الشارع في تأسيس عرف بديل معتمد على مطابقة الآخر فيما يطرح من أنماط عبثية مقبولة له متوافقة مع هويته هو . وهذا الانفلات القيمي جعل تفاهات التحضر والتمدن أولى وأسبق في الأخذ من قيم المدنية والحضارة الإنسانية ؛ فكان . فيما يخصنا . على حساب الفكر القويم في العلم والمعرفة والتَّقنية والتصنيع

¹⁵ . عبد الرحمن محمد ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ج 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . تحقيق وضبط : د. عبد الواحد وافي . د.ط / 2006م ، ص 505.

¹⁶ . هنية مفتاح القماطي : الأخلاق والعرف ، منشورات جامعة قار يونس . بنغازي . ليبيا ، ط1 / 1991م ، ص42.

المَسَاقُ التربوي العربي والمُدُّ التكنولوجي

والبحث والاكتشاف والابتكار ولم يترك أيّ مساحة للعلمية وهو ما يصح تسميته بالفراغ الفكري.

ولعلَّ التعددية الثقافية التي يخشى على الهوية من أثرها هي النتاج الطبيعي المسلّم به على اعتبار أنّه أحد فرضيات العولمة التي ضربت أطنابها بمحاسنها ومساوئها كلّ أرجاء الأرض، وعلى الرُّغم من تحسّسنا منها فإنّه من العنت أن ننكر أنّ العولمة أمست في ظل المتغيرات الدولية التي فُرِضَتْ تأسيساً على الهيمنة العسكرية، بالإضافة إلى التُّفوذ الاقتصادي القوي، والإعلام المؤسّس على تقنيات عالية ؛ واقعاً ملموساً ينبغي التّعامل معه بحكمة، لتحاشي الصّدام غير المتكافئ معه . هذا من جهة، وللارتفاع بما في العولمة من إيجابيات مصاحبة، كالْتّقدم العلمي في المجالات كافة ؛ إذ " لا يمكن رفض ظاهرة العولمة لأنها نتاج تقدم حضاري وليست ظاهرة إرادية، وأيضاً ليس في الإمكان استهلاك الإنتاج المادي بدون التأثير بلواحقه الثقافية التي أنتجته باعتبار استحالة الفصل بين المقدمة والنتيجة"⁽¹⁾.

إنّ ثقافة التّكافل الاجتماعي أصيلة في المجتمع العربي بل هي قاعدة مهمة في المكون الأساس في التشكل العلائقي بين أفراد المجتمع باختلاف أطيافه وهو موروث عن الكيان البدوي المتأصل فينا منذ بدء التكوين : تكافل في الأفراح . تكافل وتآزر في الأتراح . عون على الشدائد، على عكس ما في الثقافات السائدة في الأمم والشعوب الأخرى التي أخذ فعلها يسري في أفكار أجيالنا جيلاً تلو جيل الأمر الذي خلط الأفكار فخلق ازدواجية في المفاهيم فنشأت التّعددية الثقافية التي أنبتت على ضفافها ارتدادات غير حميدة مسّت الهوية ؛ فبات العربي مفتوناً بثقافة الغربي ممارساً لسلوكياته التي لا تعتدّ إلا بالأننا في أضيق نطاق وهو ما نراه في واقعهم من تفكك أسري ومجتمعي.

(1) د. أشرف حافظ :أسباب التنازع بين الهويتين العربية والغربية في ظل العولمة " مقال " مجلة : الثقافة العربية ، العدد 284 ، السنة 34 ، يونيو 2007م ، ص 38

(2) د. كمال بشر : علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر . القاهرة . ط3 / 1997م ، ص 236/235.

د. سليمان حسن زيدان

وقد تولد التعددية الثقافية من رحم الكيان الواحد بسبب تعدد أشكال الاستخدام، وبما أننا مقرون بأن اللغة أحد العناصر المهمة لمكون الهوية ؛ فعلياً الإقرار . من صورة الواقع . بأن " هويتنا اللغوية والثقافية هوية مهزوزة يشوبها نوع من التفكك والاضطراب، وضرب من التنافر والتناقض، ومن ثم يسوغ لنا أن نقرر أن ليست لنا هوية لغوية وثقافية موحدة . فالثقافة العربية تعاني من بلبله الألسن وتعدد اللهجات والطرانات ... وكذلك ثقافتنا القومية لم تنج من هذا التفرق والتمزق ولم تسلم من الخلط وخلخلة البناء : فهناك ثقافة الخاصة، وخاصة الخاصة، وثقافة العامة وعامة العامة، وثقافة رجل الشارع وثقافة أهل الحرف والصناعات" (2).

رابعاً . تكنولوجيا التواصل والأثر الاجتماعي المزدوج:

اكتشاف شبكة المعلومات الدولية (النت) ومن قبلها (الحاسوب (الكمبيوتر؛ لهو واحدٌ من العلم القليل الذي أوتيهِ الإنسان عبر رحلة العمر الطويل للبشرية . هذا الاكتشاف الذي كان له دوره في تقريب المسافات وقضاء الحاجات بأيسر السبل وأقل التكاليف وأسرع الوسائط والأزمة . حلَّ معضلات كثيرة، وأسس لمنهجية حياتية جديدة متطورة وجعل التواصل ممكناً وسريعاً وفاعلاً بين الأفراد لطرح آرائهم وتبادل الأفكار والتوافق عليها وتحديد صياغات العمل والتعاطي مع كَلِّ مستجد، أو مقترح مشروع أو التخطيط لفعل ما، كما ربط الجماعات والحضارات بعضها ببعض وجعل التلاقي بينها أمراً ميسراً، وخلق وعاء علم ومعرفة مترامي الجوانب والحواشي بتوفيره لكمِّ هائل من المعلومات وبآليات بحث غاية في سهولة الاستخدام والإطلاع والاقتناس. وتعدَّى الأمر الأفكار إلى المشاعر المنتجة لعلاقات عاطفية وصل بعضها إلى مرحلة الارتباط في تأثير على ثقافة (الخطبة) ذات الخصوصية بالهوية العربية فحلَّ النْتُ محلَّها وهو ما أنشأ متغيِّراً وظيفياً.

أفاد استطلاع ميداني كان أحد متطلبات بحث علمي أن " 42% من شبابنا المستطلعين أقاموا علاقة أو علاقات حب بواسطة الإنترنت : قصصهم التي كتبوها لنا على صفحة خاصة، تدل على الأهمية المتنامية للإنترنت اليوم في حياتنا وحياة الشباب

المساق التربوي العربي والمُدُّ التكنولوجي

الجامعي، كوسيلة أساسية للتواصل وبناء الصداقات والعلاقات ونقل الأفكار والتأثير على الآخرين أينما وجدوا، وباختصار وسيط أساسي للحب والكراهية بين الأفراد والجماعات"¹⁷؛ أمّا في الشق الآخر: السليبي؛ فنجد أنّ الغايات السيئة النية حاضرة بدءًا من العمل الاستخباراتي والتقييم الأمني الذاتي من منطلق قراءة أساليب المشتركين في الحوارات والدرشة والرسائل وأخيرًا الكتابات.

لا شكّ ولا تشكيك في أنّ شبكة المعلومات الدولية وشبكات التواصل منها قدمت خدمات جليّة للبشرية لعلّ أكثرها عمومًا في الفائدة يسر التواصل وسرعة إرسال المعلومة وتلقمها كالمستندات الشخصية والوثائق العاجلة والأبحاث والإعلانات... إلخ. هذه الفوائد العظيمة كلها سخرتها لنا هذه الشبكة بالإضافة إلى أنّها وسيطة إعلامية عملاقة ناقلة لحمولات من الأخبار والمعلومات والأفكار. وقد يجد فيها المرء بغيته من حيث طرح رؤيته وجلب العدد الأكبر لتأييدها والعمل بها وتحديد استراتيجيات العمل ورسم الخطط وإطلاع المعنيين بها عليها في زمن قياسي وجهد وكلفة أقل والدليل على ذلك أنّ الثورات التي انطلقت في الوطن العربي كان لشبكات التواصل حضورها الفاعل فيها بل أثرها المباشر في إيصال الدعوة لها للمحيط المستهدف كافة " فالإنترنت وسيلة هامة وهادفة للتواصل، والشباب هم عماد هذه الوسيلة حيث استطاعوا إقامة علاقات اجتماعية متعددة على الشبكة، كان الهدف من وراءها التقرب من الآخرين وإقامة علاقات اجتماعية. ولكن تحتوي الشبكة على الكثير من المتناقضات ففي الوقت الذي يسعى فيه البعض لتقريب البشر وإقامة العلاقات بينهم كما فعل مارك جوكربيرج صاحب موقع فيس بوك أشهر شبكة اجتماعية على الشبكة الدولية نجد على الجانب الآخر من يقوم بنشر أفكار عداوية أو ما أطلق عليه " خدمة معادية للمجتمع" وهو ما

¹⁷ .د. مي العبد الله : استخدام الشباب لشبكة الإنترنت وسيلة اتصال للحب والكراهية " بحث أُلقي في مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر 2008م . نشر في كتاب : ثقافة الحب والكراهية . دار البركة للنشر والتوزيع . عمّان . الأردن ، د.ط/2010م ، ص283.

د. سليمان حسن زيدان

فعله معهد " العلامة التجارية العلمية " الألمانية الذي أنشأ موقعًا إلكترونيًا جديد للذين "يعشقون الكراهية" ليصلهم إلى "الكارهين من حول العالم" ...¹⁸

ونقف على جانب آخر من النصف المظلم لهذه الشبكة التي تمثل فضاء مفتوحًا يسهل الولوج إليه والتفرع فيه في أي وقت وبأي شكل أو أسلوب الأمر الذي حولها إلى وعاء سبّ وشتم وقذف وتشهير وحلبات صراع وتصفية حسابات. من أراد إقصاء أي طرف لا يروق له وجوده أو يريد نسفه من طريقه بالتأثير السلبي عليه يستطيع بكلّ يسر وبالاتفاق مع مجموعات بعينها تتبادل المواقف فيما بينها أن يشنّ عليه حملة . نية : فيسبوكية . تويتيرة ؛ تلقى أصداء ودخولا من آخرين ولو بصفحات وهمية فيقع الضرر على الشخصية المستهدفة فيعم القول أرجاء المعمورة بوسيلة شبكة المعلومات الدولية. وهذا موطن خطر التواصل بين المجموعات النشطة في مواقع التواصل ؛ فعندما " يغدو ولاؤهم لعصبياتهم أعلى وأشد... تبدأ طردًا عملية تكون "النظام الاجتماعي العصبي" هذا يعني أن النظام العصبي هو " نظام الانغلاق الاجتماعي" الانغلاق الذي يعبر عن نفسه في ميل كلّ عصبية إلى الانكفاء على ذاتها وتعظيم كيائها الفرعي، وتثمين هويتها في وجه غيرها من العصبيات الأخرى وغني عن البيان أن إقفال كل عصبية لعالمها الخاص على نفسها ينتهي إلى إعدام كل إمكانية لتحقيق التبادل الاجتماعي للقيم، ويؤسس العلاقات الاجتماعية على التهيب والحذر والشك، وفقد الدينامية الاجتماعية طاقتها وحيويتها الضروريتين لكل اجتماع وطني"¹⁹

وتتكوّن العلاقات وتبلور وتتغيّر رهناً بالمواقف بين الأفراد وأهواء الذات المتنقلة بين الرفض والقبول للأمر الواحد كونه وافق التصور في قضية ما لكنه خالف الهوى في الأخرى ومن هنا تشرع الذات في كيل التزكيات أو الانتقادات وقد يكون القول ذاته قد قيل مدحًا وإطراءً في الشخص ذاته أو الفكرة عينها في حالة سالفه، فلا نفاجأ

¹⁸. نفسه ، ص 284.

¹⁹ . د. أحمد يونس التل : السياسة الثقافية في الأردن بين الواقع والطموح ، منشورات أمانة عمان . عمان . الأردن ، ط 2009/1 ، ص 46/45.

المساق التربوي العربي والمد التكنولوجي

بأن "ذات الاتهامات التي وجهتها في السابق ضد الأفكار عن الثقافة . ذلك أنها أساسا لا اجتماعية وفردية النزعة، لا تضع اعتبارا للروح الاجتماعية البشرية"²⁰ وبالوقوف أمام هذي الأفعال التي أسهمت الشبكة فيها بل كانت حاضنها الأوحده نجد أنَّ الهويات قد تداخلت والثقافات قد تعددت وتنوعت بل سادت ثقافات غير مقبولة لمجتمعنا كثقافة إباحة كشف المستور والتباري في نشر أي خطأ أو فعل لإنسان وكأنَّ ليس في شيمنا وإرث ثقافتنا ومبادئ ديننا ما يمنع ذلك ويجرمه بل ويحرمه. كما أنَّها استغلت معول هدم للكيانات الاجتماعية بإثارة الفتن بين الجماعات عبر معلومات مغلوطة مدسوسة تبث في ثنايا خبر أو مقال أو صورة مرغبة . كما استغلت مواقع التواصل الاجتماعي لخلق ثقافة التَّصفية المعنوية من " سب وشتم وقذف وتهديد ووعيد يشمل الأشخاص والمناطق والمدن بليبيا، ذلك ما تحفل به صفحات الليبيين على مواقع التواصل الاجتماعي، وكأنك في ليبيا في واقعها اليومي المفعم بالشجارات والخلافات"²¹ . وكذلك وسيلة للابتزاز ؛ إذ يتحين شخص ما أيَّ فرصة ما ويسجل تسجيلا أو يلتقط صورة في وضع قد يكون بريئا لكنه يدبلج بقصد وسوء نية ليظهر بشكل مغاير ويكون وسيلة ضغط على المجني عليه لتقديم تنازلات من نوع ما وإلا مصيره الفضح على الملأ ؛ وأيُّ ملأ ؟ !!! إنه الكون ؛ بفضل أعجوبة (التكنولوجيا) : الإنترنت.

ولشبكة المعلومات وبخاصة مواقع التواصل الاجتماعي مردود سلبي إذ تخترق أعماق الأسر وتنتشر سلوكيات وثقافات جانحة عن الفطرة داعية إلى انتهاج أفعال منحرفة فكريا وصلت حدا لا يطاق من التوظيف السيئ المنافي للأخلاق ؛ فقد تخصصت بعض المواقع في الدعوة إلى الانتحار من خلال الربط بين أصحاب الأفكار الشاذة وذوي العقد، والمصابين بالاكتئاب، والحالات النفسية عبر غرف الدردشة التي خصصتها هذه المواقع، وتحريضهم على الانتحار ومن ثمَّ تسهيل اللقاء بينهم، وتوفير مادة

²⁰ . مايكل كاريندرس : لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية : نشأتها وتنوعها . ترجمة : شوقي جلال ، عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت 229 / 1998 م ، ص 110 .

²¹ . خالد المهير مراسل الجزيرة نت في ليبيا : الاثنين 2012/8/13 م . نقلا عن الموقع <http://aljazeera.net/portal>

د. سليمان حسن زيدان

(سيانيد البوتاسيوم السامة) التي تساعد على الانتحار بهدوء، وقد سجلت حالات انتحار في لبنان واليابان... بسبب هذا الموقع.

ومن سلبيات التواصل الاجتماعي اللاواعي عبر شبكة المعلومات الدولية . أيضاً . انتشار العلاقات وانحرافها عن جوهر التواصل الإنساني إلى التواصل الجسدي الذي أنشأ متغيرات فكرية وبدّل معطيات اجتماعية أسرية ذات هوية إسلامية وأحلّ محلها ثقافات دخيلة مفسدة للنسيج الاجتماعي العربي المسلم المثل والقُدوة في الترابط والتكافل الاجتماعيين . تقول سالي جان مارش ⁽³⁾ .. " على فرض وجود بعض القيود على المرأة المسلمة في ظل الإسلام ، فإن هذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة ، والحفاظ عليها متماسكة قوية ، وأخيراً فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام ... لقد لاحظت أن المشكلات (العائلية التي يعاني منها الغرب) لا وجود لها بين الأسرة المسلمة التي تنعم بالسلام والهناء وكذلك الحب فلا الزوج ولا زوجته في ظل الإسلام يعرفان شيئاً عن موعد العشاق ومودة الصديقات السائدين هذه الأيام في الأقطار غير الإسلامية . لقد أحببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حبا كثيراً ، لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لا بد لهم عنه من حب وإخلاص وسلام يعمر حياتهم . وليس ذلك فحسب بل بفضل هذا الإخلاص في العلاقات الزوجية بين المسلمين ، هم واثقون أن أبناءهم حقاً من صلهم غير دخلاء عليهم . وهذا مفقود في المجتمعات الأخرى "

لقد أسست هذه الشبكة الإلكترونية للوصل والتواصل بأنواعه جميعها : سياسياً واقتصادياً وعلمياً وفكرياً وثقافياً واجتماعياً ولتخدم الإنسانية جزءاً وكلاً، ولكن سوء استخدامها . وقد يكون سوء الاستخدام هذا واحداً من أسباب وجودها . أحدثت متغيرات جوهرية في البنية الأساسية، وبحكم أن المجتمع العربي المسلم له ضوابط عقدية وأخلاقية وعرفية تأثرت بهذه التقنية فإن المتغيرات أضحت جليلة

(3) - سالي جان مارش : لوى جان مارش باحثة ومفكرة أمريكية اعتنقت الإسلام ولدت في واشنطن عام 1954 في من عائلة بروتستانتية . شبكة المعلومات الدولية . موقع صيد الفوائد

<http://www.saaaid.net/female/076.htm>

المساق التربوي العربي والمُدُّ التكنولوجي

واضحة . متغيرات مسّت الهوية : فانسلخ العربي عن عاداته وتقاليده وجذوره الفكرية المؤسسة على النبل والمروءة وهي ما كانت إلى أجل قريب هويته الراسخة.

غدت المواقع . بخاصة الاجتماعية . تعج بالصور المختلفة الأشكال والأنماط والأجناس وكثير منها نشر كوسيلة تخدم أغراضًا مشبوهة تجعل الصورة مادة لثقافات أخرى . ويسعى القارئون عليها إلى تحسينها كونها أداة الجذب الأولى في المشاهدة، وكونها تؤسس لتواصل حسي بصري تحركه الغرائز، وهو ما يجعلها سلاحًا ماضي الأثر؛ إذ إن "الصورة موسوعة بصرية تستمد مكوناتها الاجتماعية مما تتوارثه الأجيال من تراث وموروث في جوانب الثقافة ليعود من خلال الممارسة والتعبير الفني ثقافة مطورة أو مضافًا إليها وكذا تكون في نمو مستمر . ويكمن محور الاهتمام بطبيعة ذلك النمو وما تعكسه الصورة الناقلة له، وهنا مكمن خطورة ثقافة الصورة سلبيًا وإيجابيًا"⁽¹⁾

خاتمة

المتلازمان في حياة الإنسان اثنان : ثابت ومتحوّل ؛ فالثابت فطرته التي فطره الله عليها إذ خلق للعبادة والبر والتكافل الإنساني وفق حسن المعاملة والتعامل مع المحيط، والمتحوّل هو ما تحتمه ضرورات الحياة من تعلم وتطور ومواكبة للمستجدات العصرية ليفقه كيف يتعاطى معها ويستفيد منها وهو ما ألزم نشوء المتغيرات عند الأفراد والجماعات العاملة نحو الأحسن . ويبدأ المتغير من الفكر ليضيف إلى ثقافة صاحبه أو ليخترقها إلى غيرها وهنا تكون الهوية حاضرة في المشهد ؛ إمّا بثبات أو تحول حسب نمط الثقافة الوافدة . وإنَّ الثّقافة الأمثل هي ثقافة احترام العقل واستغلاله فيما هو نافع مجد .

وبما أنّ العقل هو ميزة الإنسان عمّا سواه من المخلوقات ؛ فعلى حامله حسن استخدامه وعلى المحمول له (المجتمع) حسن رعايته وتهيئة الظروف كلّها لخدمته

(1) د. أحمد عبد الرحمن آل أحمد الغامدي : ثقافة الصورة وأثرها الاجتماعي والتربوي ، بحث مقدّم لمؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر ، ومنشور في كتاب (ثقافة الصورة) ، منشورات جامعة فيلادلفيا . عمان . الأردن . ط1/2008م ، ص 213.

د. سليمان حسن زيدان

ليؤدي وظيفته، وإنها لفقيرة هي الأوطان مهتزة الأركان ما لم يكن فيها الإنسان جريء الفكر طامح لعلو البنيان . وإنَّ المواطنَ الحاملَ لهوية الوطن مطالبٌ بالذود عن هذه الهوية وبيان قدرها عنده في سلم قيم الذات بما يسعى لتطوير كيانه والرفع من مستوى الوعي فيه باغتنام كلّ فرصة تطرق بابَه سواء بالحضور أو الإحاطة به بأيّ شكل . وبهذا تتفاوت درجاتُ الوطنية العملية من كائن لآخر كما تتفاوتُ درجاتُ الطموح والنضج الفكري .

إنَّ المرءَ ذا العقل السليم ملزمٌ بطرح ما عنده من رؤى وأفكار ؛ لتتلاقى ثمَّ تتلاقح وأفكار الآخرين فتشرع في رصّ خيوط نسيج المعرفة في رقعة واحدة تنهض أطرافها كلّ بالأخروا إن كان الطموح متفاوتًا. وتتعدّد القيم وتنوع لتصب في جدول واحد هو بناء المجتمع الإنساني بعامة والمحيط بخاصة اللذان لن يبنيا إلا ببناء الإنسان ؛ فهما رهن بمقدار عطائه الفكري والعلي في المجالات كلّها واندماجه فيما يستجد كن تقنية وعلوم.

ويبقى السؤال الشامل للنتائج كلّها مطروحًا أبدًا : هل وعيت وهل ستعي أمتنا وبالأخص مجتمعا الذي ننتمي إليه أن أول البدء في السعي للبناء والتنمية الفكرية إلزام الذات الفردية والجمعية بالتوكيد والتركيز على الوعي الفكري والبحث العلمي ؛ إذ بهما ترقى الأمم إلى ذرى التقدم، وكذلك المحافظة على الموروث الحضاري بما يشمل من حبٍّ للمعرفة وسعي حثيث إليها، وذود عن سمة التكافل الاجتماعي التي تميزه عن الأمم الأخرى . فهل هذا ما يسود في واقعنا ؟ وهل . في حاله وجوده . نطبقه التطبيق الأمثل ؟ بأسفٍ بليغ : الجواب الحاضر . ومن الواقع المرصود يكون بلا ؛ لأنّ واحدة من المعضلات الجسام السائدة في مجتمعاتنا العربية أن قد خيّل لها وهما أنّ البحث العلمي حكر على الوسط الأكاديمي بينما هو شأن ذو عموم ؛ فقد ينبغ باحث لا مؤهل عال عنده لكنه قد حاز مؤهلاً في الكفاءة العقلية الحكمية فأعمل الفكر فأنجز ما لم ينجزه ذوو الشهادات العليا أو قصرُوا دونه، وليتهم عندما احتكروا صلته بالطبقة الأكاديمية أحسنوا إليها وإلهم بل أهملوا شأنها في الرعاية والإنفاق.

المساق التربوي العربي والمدُّ التكنولوجي

. نتائج وتوصيات :

- 1 . الحاجة ملّحة إلى الفصل بين التربية كسلوك والتربية كعلم.
- 2 . لا يستقيم القول بأنّ العرب لا يعلمون شيئاً عن التكنولوجيا ولا يعرفون ما هي لكنه يستقيم إذا أفاد بأنهم لا يحسنون مواكبتها واستثمارها بشكل أكمل وأمثل.
- 3 . القائمون على إدارة الشؤون المتعلقة بالتعليم والثقافة والمعرفة ومن قبلهم أولياء الأمر لا يعطون البحث العلمي حقه لا من حيث الزمان ولا المكان ولا الدّعم والإنفاق.
- 4 . لزوم اعتماد مؤسسات تعليمية خاصة للمتفوقين لاختصار المراحل وتقصير المسافات لاجتياز أطوار التعلم إلا الإنجاز والابتكار والعطاء والتّطبيق.
- 5 . دراسات الجدوى لأي مشروع أولوية استراتيجية تسبق البدء في التنفيذ، وقد تفضي إلى التحول عنه إلى غيره، وهذا يتحقق التّقدم الأقل كلفة مادية وزمنية.
- 6 . الثقافة ركن مهم في إدارة المدِّ التكنولوجي بما يحقق الفائدة ويجنب الضرر سواء أكان مادياً أم معنوياً.
- 7 . المشاركة في المواقع الاجتماعية والدخول إليها عالية النسبة لكنّ أكثر من 80 % من هذه النسبة تستغل مواقع التواصل الاجتماعي استغلالاً سيئاً كالتشهير بالآخرين أو توجيه السّبِّ لهم والطعن فيهم كذلك إثارة الفتن.
- 8 . الخمول العقلي أدّى إلى إطالة أمدِّ الاعتماد على الأجنبي في الاختراع والتّصنيع والتّشغيل والاستحواذ على الكمِّ الأكبر من العائد.
- 9 . القدرة المالية العربية الكبيرة لا تتوافق مطلقاً مع تصنيفها في سلّم التّقدم والنمو، وهذا ناقوس تنبيه لوجود خلل في العقلية الحاكمة أو المالكة لرأس المال.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم محمود : الثقافة العربية المعاصرة " صراع الإحداثيات والمواقع"، دار الحوار للنشر والتوزيع . اللاذقية . سوريا، ط1/2003م، 169.
- د. أحمد عبد الرحمن آل أحمد الغامدي : ثقافة الصورة وأثرها الاجتماعي والتربوي، بحث مقدّم لمؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ومنشور في كتاب (ثقافة الصورة)، منشورات جامعة فيلادلفيا . عمان . الأردن . ط1/2008م.
- د. أحمد يونس التل : السياسة الثقافية في الأردن بين الواقع والطموح، منشورات أمانة عمان . عمان . الأردن، ط1/2009م .
- د. أشرف حافظ : أسباب التنازع بين الهويتين العربية والغربية في ظل العولمة " مقال "مجلة : الثقافة العربية، العدد 284، السنة 34، يونيو 2007م .
- سائلة صالح فرج : طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، مجلس الثقافة العام . ليبيا . د.ط/ 2008م .
- عبد الرحمن محمد ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. تحقيق وضبط : د. عبد الواحد وافي . د.ط / 2006م .
- د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة . ط3 / 1997م.
- مايكل كاريندرس : لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية : نشأتها وتنوعها. ترجمة : شوقي جلال، عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت 229 / 1998م .
- د. محمد طه : الذكاء الإنساني / اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية " . سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . أغسطس 2006م .